مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 23 عدد: 46 السنة: 2019

مفهوم النّسبيّة الثّقافيّة

وإشكاليّة دراسة الأسطورة في الفكر الياباني الحديث

Cultural Relativism and the Issue of Myth Studies in Modern Japanese Thought

د. المبروك الشيباني المنصوري

كلية التربية، جامعة السلطان قابوس
mabroukmansouri@squ.edu.om

تاريخ الوصول: 2017/08/12 / القبول:2019/03/06/ النشر على الخط:2019/03/15
Received: 12/08/2017/ Accepted:06/03/2019 / Published online: 15/03/2019

ملخص

يعالج هذا البحث قضيّة دراسة الأسطورة في الفكر الدّيني الياباني الحديث مقارنا في ذلك المصطلح الياباني الأصلي "شنوا" بمقابله الغربيّ "ميث". ويرتكز على نظريّة النّسبيّة الثّقافيّة لينتقد توظيف المفاهيم والمصطلحات الغربيّة ذات الجذور الإغريقيّة-الرّومانيّة لمقاربة النصوص الدينية غير الأوروبية عامة، واليابانية بصفة خاصّة، ويؤكّد الخصوصيّة الثّقافيّة والتّاريخيّة للمصطلح الغربيّ تنظيرا وتطبيقا. ويخلص إلى نتيجة قوامها أنّ النّسبيّة الثّقافيّة تقتضي أن لا يستعمل الأكاديميّون مصطلح "ميث" إلّا في تحليل التّراث الدّيني الغربيّ.

الكلمات المفتاحية: النسبية الثقافية، الأسطورة، الدين، الفكر الياباني، مناهج الفكر

Abstract:

This article tackles the study of myth in modern Japanese religious thought. It compares the original Japanese term "Shinwa" with the western "Myth". With reference to the theory of cultural relativism, the article criticizes the usage of Western concepts of Greco-Roman origin to approach Japanese and non-European, religious texts, and emphasizes the fact that Cultural Relativism presupposes that 'myth', as a analytical category, should be applied only to Western religious heritage.

Keywords: Cultural Relativism, Myth, Religion, Japanese thought

مقدّمة

تمثّل المصطلحات في النظريات النقدية شفرات تحليليّة تمكّن الباحث من استعمالها لسبر أغوار النصوص بشكل منهجيّ معمّق ومدقّق. ويعتمد البحث في الفكر الدّيني على جملة من المقاربات المعاصرة المختلفة المشارب الفكرية والفلسفيّة. وقد شاع في الفكر الغربي الحديث "وهم معرفيّ" قوامه كونيّة المفاهيم والمصطلحات والنظريات الغربيّة المرتبطة بها. وهو وهم مرتبط بمرجعيّة المركزيّة الغربيّة Eurocentrism. إلّا أنّ كثيرا من الأبحاث المعاصرة قد هدّت هذه المقولة بالاعتماد على المراجعات الفكريّة ما بعد الحداثويّة. واستعاض هؤلاء الباحثون المعاصرون عن مفهوم "كونيّة المفاهيم الغربيّة" بمصطلح "النسبيّة الثّقافيّة"[1]. وكان الفكر النقدي الياباني رائدا في هذا المجال بما أسسه من مراجعات مهمّة تنسّب المفاهيم والمصطلحات والنظريات الغربية تنسيبا عقلانيا دقيقا ومعمّقا. وكان لها صدى كبير لا في الفكر الياباني فقط، بل امتد إلى أغلب المدارس الفكرية في جنوب شرق آسيا.

وبما أنّ للفكر الديني والنصوص الدينية التي يتأسّس عليها خصوصيّات ثقافيّة وروحيّة تختلف فيها نظرتها إلى العالم والوجود والمصير، فإنّه يصعب دراستها-على اختلافاتها-بذات المفاهيم والمصطلحات النابعة من الحضارة الغربية والمرتبطة في الأغلب الأعم بثلاثة اتّجاهات فكرية كبرى هي الوضعيّة Positivism والمادية Materialism والتطوّريّة Evolutionism.

ويحلّل هذا البحث إشكاليّة استعمال المصطلح الغربي الذي يطلق على الأسطورة "ميث Myth" مقارنا إياه بمقابله الياباني: "شنوا Shinwa"، في الفكر الياباني الحديث من خلال استقراء نظريّة المفكّر وأستاذ الأديان الياباني تاكاشي كيمورا[2]. ويتساءل البحث عن الإشكالات الإمكانات الّتي يطرحها نقل المصطلحات والمفاهيم التحليلية بين الثقافات واللغات المختلفة بصفة عامة، والفكر الديني بصفة خاصة. ويدرس التعارض بين نظريّة النّسبيّة الثّقافيّة ومقولات التّنوع الثّقافي من جهة، وإيديولوجيا عولمة الفكر والثقافة من جهة أخرى.

فبعد مراجعة تكاشي كيمورا للأعمال الأكاديميّة الغربيّة المهتمّة بمقولة الأسطورة في الغرب برزت جملة من الإشكاليّات تبيّن منها أنّ "الأسطورة"-بصفتها مقولة تحليلية- هي مقولة أصلية محليّة في الفكر الغربي ذي الجذور الإغريقية-الرومانية، ولكن ليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الفكر الياباني، نظرا إلى اختلاف المرجعيات والأفق الثقافي العام الذي يتأطر الدين داخله في كل من التجربة الغربية والتجربة اليابانية. ورغم أن أساتذة الأديان اليابانيين المحدثين قد حاولوا استعمال

[1] انظر عن ذلك: المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبيّة الثقافية، تونس الدار المتوسطية للنشر، 2010.

[2] يرتكز هذا البحث على مقاربة تحليلية لفكر أستاذ الأديان الياباني البروفسور تكاشي كيمورا في مختلف أبحاثه حول النسبية الثقافية، ومنها خاصة:
Takeshi Kimura, Location of "shinwa (≠ myth)" in the pre-war Japanese study of religions, Journal of Philosophical Thought, Tokyo, No. 22, 2004, 144- 156.

المصطلح الياباني في بدايات القرن العشرين فإنه لم يلق ذات الاهتمام الأكاديمي في السّياق الثّقافي الياباني الّذي لقيه مصطلح "ميث" في السّياق الثّقافيّ الغربيّ. يستعمل الأكاديميون الغربيّون المحدثون مقولة الأسطورة باعتبارها جزءا جوهريّا من تراثهم الثّقافيّ. أمّا المثقّفون اليابانيّون المحدثون فإنهم قد تردّدوا إلى حدود منتصف القرن العشرين في استعمال "شنوا" باعتباره مقولة تحليلية فاعلة. قد يعود هذا التّردّد إلى أنّ العلماء يستعملون عادة المفاهيم المتداولة باعتبارها مصطلحات أكاديميّة، كما يقول بينسون سايلر[1]، والمعنى المتداول للمصطلح الياباني "شنوا" يدلّ على "الزّيف" و"الكذب" ولا يعبّر عن "قصّة حقيقيّة" أو "خطاب مقدّس" في الاستعمال العامّ كما يستعمل مصطلح "ميث" في المحيط الثّقافيّ الغربيّ.

1 -الأسطورة "ميث" باعتبارها مقولة أصليّة ومحليّة في التّراث الثّقافي الغربي.

قسّم كيمورا الدّراسات النّقديّة الحديثة للأسطورة في التّراث الثّقافي الغربيّ إلى صنفين اثنين: يركّز الأوّل على الخطاب النّظري للمقاربات الأكاديميّة. ويدرج الثّاني هذه الدّراسات في سياقاتها الاجتماعيّة والسّياسيّة والثّقافيّة. فقد بحث روبرت سيقل Robert A. Segal في كتابه "التّنظير للأسطورة"، المنشور سنة 1991، المستندات النّظريّة لأهمّ أساتذة الأسطورة والدّين في القرنين التّاسع عشر والعشرين. واهتمّ تحديدا بوصلهم الحيويّ بين الرّؤية العلميّة للعالم الطّبيعي والاجتماعي من جهة والعالم الدّاخلي الباطني من جهة أخرى[2]. واعتبر أندرو فون هاندي Andrew von Hendy في كتابه "التشكيل الحديث للأسطورة"، انطلاقا من تحليله للتّطوّر النّظري للدراسات الأسطورية قبل القرن التّاسع عشر أنّ "التطوّر الاصطلاحي من مصطلح "خرافة" إلى مصطلح "أسطورة"، في سنوات 1760 قد مثّل ثورة في المفاهيم الغربيّة المتّصلة بالمتخيَّل وسرد القصص بطريقة يمكن مقارنتها بالثّورة السّياسيّة المعاصرة لتلك الفترة في فرنسا وأمريكا. ويمثّل مفهوم "الأسطورة"، الذي تشكّل بنهاية مسار الخمسين سنة اللّاحقة والمعروف عموما بالحركة الرّومانسيّة، انطلاقة جذريّة جديدة بعد تراث ألفي سنة من الاستعارة الأفلاطونيّة المحدثة. وهي نقلة تشرّع للفكر الحداثوي الغربي إلى درجة يبدو فيها الحديث عن التّشكيل الحديث للأسطورة حديثا مناسبا"[3]. ووظّف المبشرون النصارى في القرن السّابع عشر مصطلح "الخرافة" لنعت الأساطير اليابانيّة المحليّة،

[1] Benson Saler, Conceptualizing Religion: Immanent Anthropologists, Transcendent Natives, and Unbounded Categories, New York, Berghahn Books, 2000, ix.

[2] Robert A. Segal, Theorizing about Myth, Boston, University of Massachusetts Press, 1999.

[3] Andrew von Hendy, The Modern Construction of Myth, Bloomington & Indianapolis, Indiana University Press, 2002, 3.

في مقابل الوحي النصراني[1] الذي يمثل الحق عندهم. ولكن وجهة نظرهم لم ترتكز على أيّ مستند علمي. فهي ليست سوى دعاية تبشيرية.

وقد درس فون هاندي تشكّل مصطلح "الأسطورة" في القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر، باعتباره مقولة تحليلية، ثمّ فصّل أهمّ تطوّرات الخطاب الّذي بحث في معاني "الأسطورة" من ثلاث وجهات نظر: تصنيفيّة وزمانيّة وقيميّة. وتنبع وجهات النّظر الثلاث لنظريّة الأسطورة حسب تصنيفه–وهي النّوع الأيديولوجي والنّوع الفولكلوري والنّوع التّكويني–من أصل رومانسيّ أو متعال. وهناك وجهة نظر مماثلة تهتمّ بالخطاب الدّاخلي للدين نجدها في كتاب بينسون سايلر "مفهوم الدّين". إلّا أنّه أشار فيه إلى اعتبار الدين في حدّ ذاته مجرّد "مقولة شعبيّة غربيّة أصّلها المفكّرون الغربيّون المعاصرون". وهذه الرؤية استقرائية متعلّقة بالتراث الغربي ذي الجذور الإغريقية–الرومانية. وليس لها أيّ انطباق على مكانة الدين في حضارات أو ثقافات أخرى. ومن ثمّ فادّعاؤها الكونيةّ ليس سوى وهم نقضته نظريّة النسبيّة الثقافية. فالكنفشيوسة مثلا–باعتبارها فلسفة دينية تركز على سمو النفس والانضباط الاجتماعي– ليست "مقولة شعبيّة" بأيّة حال من الأحوال. وكذا الأمر بالنسبة إلى المسلمين الذين يعتبرون أن الله هو خالق الكون. وقد تطابقت المعطيات العلمية الموضوعية المبرهن عليها برهنة تجريبية مع ما يحتوي عليه القرآن. ومن ثمّ فلا يعتبر المسلمون الديّن "خرافة شعبية" بأيّة أيضا. وكذا الأمر بالنسبة إلى الأساطير المنتشرة عند الشعوب الأصلية في أستراليا أو أمريكا الجنوبية. إن الرؤى الحضارية العامة للكون والوجود والمصير تتقاطع مع المحاضن الثقافية التي تنشأ فيها، ولكنها تضل رؤى مخصوصة ومرتبطة بسياقها الثقافي العام، ولا يمكن تطبيق ما تولّد عن غيرها من مصطلحات ومفاهيم ومناهج عليها أو على كلّ أديان الكون، دون اعتبار لأيّة خصوصية دينية أو ثقافية.

ورغم أنّ هذه المراجعات التّاريخيّة لمقولة الأسطورة في الحضارة الغربية مهمّة جدّا، فإنّ النقد يجب أن يتوجّه إلى لبّ القضيّة عبر تحليل ارتباط الدّراسات الثّقافيّة للدّين بالسّياقات التّاريخيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة الّتي وظّفت فيها المقولات واستعملت أحيانا لغايات سياسيّة أو استعمارية أو تبشيرية. ويبرز هنا كتاب روبارت إلوود Robert Ellwood "سياسات الأسطورة" باعتبار أنّه قد نظر في أعمال ثلاثة من علماء الأسطورة هم كارل يونق Carl G. Yung ومرسيا إلياد Mircea Eliade ويوسف كمبال Joseph Campbell وأدرج أعمالهم الأكاديميّة في سياقات سياسيّة واجتماعيّة ليبحث في إمكانيّة تلبّس هذه الأعمال أيّة أبعاد سياسيّة أو أيديولوجيّة محتملة[2]. ورغم أنّ مقاربته تمثل نوعا من التّوجّه الجديد في مراجعة الأعمال الأكاديميّة الغربيّة، وتسهم في إماطة اللّثام عن الخلفيات الفكرية والأيديولوجيّة لأعمال أساتذة الدّين الماضين وتسعى إلى

[1] Reuben Gold Thwaites, ed, Jesuit Relations (CD-Rom version), Rhode Island, Quintia Publications, 2000.

[2] Robert Ellwood, Politics of Myth: A Study of C. G. Jung, Mircea Eliade, and Joseph Campbell, Albany, State University of New York Press, 1999.

نقدها، فإنّ كثيرا من القضايا الأكاديميّة المهمّة المرتبطة بهذا المشغل لم تلق بعد اهتماما أكاديميا معمّقا يجعلها تمرّ من مقولة المركزيّة الغربيّة إلى مقولة النسبيّة الثقافية، بشكل تطبيقي عملي، ويجعلها تعترف بالخصوصيات الدينية والروحية لمختلف أديان العالم.

ابتدأ لنكولن تحليله بدراسة نقديّة مفصّلة للأصل الاشتقاقي للمصطلح الإغريقي "ميثوس" وأجرى هذا التّحليل على ما يقارب الألفي سنة من التّاريخ الفكري في الغرب. واختياره الانطلاق من الأسطورة عند الإغريق مبرّر ثقافيّا ومقبول أكاديميّا لأنّ مصطلح "ميث"، في حدّ ذاته، ذو جذور إغريقيّة ولأنّ خصائص "ميث" كامنة في الأساطير الإغريقيّة تحديدا. ولكنّ ما يحتاج إلى نقد فعليّ هو اقتراحه العودة إلى المعنى الإغريقي الأصلي للمصطلح الغربي ليعيد المفكّرون استعماله وبناء معنى ملائم له بعد تجريده من المعاني الّتي أضفيت عليه في الفكر الغربي الحديث. وبعد أن بحث المعنى الأصلي لقصائد هيسيدوس وهوميروس[1] اعتبر أنّ "الأسطورة: ميثوس" خطاب يؤسّس للقوّة والسّلطة باعتباره خطابا واجبا تصديقُه وواجبة طاعتُه. فميثوس في الملحمة الإغريقية لا تشير بأي وجه من الوجوه إلى معنى "خرافة" أو "قصّة مفتعلة" أو "أكاذيب" أو أيّ معنى من هذا القبيل"[2]. وهو بهذا يلمح إلى أنّ معنى المصطلح الّذي ابتكره المفكّرون المحدثون غير دقيق. وهذا هو سبب اقترحه العودة إلى المعنى الجذريّ الأصليّ للمصطلح ليصبح قابلا للاستعمال أكاديميا في السياقات الغربية.

ولكنّ هذا الاقتراح نسبيّ أيضا، لأنّ صياغة معنى جديد لمصطلح الأسطورة في الفكر الغربي سيظلّ عملا غربيا مستقرئا للتراث الغربي ذي الأصول الإغريقية الرومانية أولا وبالأساس. فإذا كان المعنى الأصلي لمصطلح الأسطورة "ميثوس" لا يشير إلى أية شحنة سلبية في التراث الإغريقي، فإنّ مترادفاته في الثقافات الأخرى ليس كذلك وجوبا. ثمّ إن نظر الشعوب الأخرى ذات الثقافات المختلفة إلى الملاحم الإغريقية القديمة وإلى المصطلح النابع منها قد يحيل مباشرة إلى معنى "الخرافة" و"القصة المفتعلة". فليس نظر الياباني إلى أساطير الإغريقية القديمة هو ذاته نظر الإغريق القدامى إليها –باعتبارها خطابا مقدسا عن الآلهة–. وكذا الأمر بالنسبة إلى مصطلح ميثوس في حد ذاته. فالمصطلح وما يحيل عليه–في أصله الإغريقي، وفي تطوره الغربي–لا صلة له من قريب ولا من بعيد بالفكر الديني الياباني ورؤيته للكون وللوجود وللمصير. فكيف يدعو نقّاد الدين إلى استعمال نظريّة الأسطورة باعتبارها مقولة تحليلية في تحليل أديان أخرى في ثقافات أخرى مختلفة عنها كليا أو جزئيا.

إن هذه المقاربة النّقديّة الجذريّة لمعنى المصطلح توفّر قاعدة فكريّة صلبة لإعادة النظر في معنى مصطلح "ميث" في الفكر الغربي. ولكن اعتباره النابع من المركزية الغربيّة الداعي إلى أنّ هذا المصطلح المخصوص ذا الأصول الغربيّة المحدودة ثقافيّا

[1] هما من أشهر الشّعراء الإغريق القدامى، وقد عاشا في حدود القرن الثّامن قبل الميلاد.

[2] Bruce Lincoln, Theorizing Myth: Narrative, Ideology, and Scholarship, Chicago & London, The University of Chicago Press, 1999, 17- 18.

سيوفّر التّأسيس الفعّال للأبحاث النقدية في الثّقافات المختلفة، يثير إشكالات جوهريّة منهجية ومعرفية لمفكّرين ينتمون إلى ثقافات أخرى لا تشاركه نفس المهاد الثّقافيّ والمفهوم الثّقافيّ للتّاريخ، بما أنّ نقده "الجذريّ" يؤدّي إلى تأكيد الخصوصيّة الثّقافيّة والتّاريخيّة للمصطلح الغربيّ في حدّ ذاته. فأبحاث مفكّرين آخرين من ثقافات أخرى غير غربية يعرضون صورة مخالفة لما أثبته لنكولن. ومن ذلك أن الباحث الياباني أوويامَا ياسوتوشي Ueyama Yasutoshi قد درس في كتابه "الأسطورة والعلم"[1] المجتمعات الأوروبيّة المثقّفة استنادا إلى تنظيرات ماكس فيبر وفريقه وتوصّل من خلال تحليل بحث ماكس فيبر "المعرفةُ مهنةً Wissenschaft als Beruf" إلى أن فيبر كان مرتبطا بعلاقات اجتماعيّة إنسانية معقّدة جدّا. فقد بيّن البحث أن ماكس فيبر لم يكن "عقلانيّا" كليّا في حياته الخاصّة كما كانت تطمح "منهجيّته ونظريّته" إلى تحقيقه، وأنّ ما كتبه لا يعدو أن يكون فهما ذاتيا من جهة، وليس له أي انطباق عملي من جهة أخرى. وهذا يطرح علينا إشكاليّة نسبيّة اقتباس المفكّرين غير الغربيّين الاختياراتِ الذّاتيةَ والفهمَ الذّاتيَّ للمفكّرين الغربيّين وتقيّدهم به وعلاؤهم إيّاه، وما إذا كان مفيدا، أكاديميّا، وذا معنى[2].

ثم إنّ العقلانيّة الّتي تمثّلها الفرضيّة المنهجيّة لماكس فيبر تنتمي إلى البرهنة العلميّة المبنيّة على ما يمكن التّنبّؤ به بناء على حسابات عقليّة. وقد صارت هذه المنهجيّة قديمة اليوم. فماكس فيبر لا يتعامل إلّا مع الظّاهرة الاجتماعيّة القابلة نتائجها للتّنبّؤ بها عقلانيّا كما تُبيّن ذلك منهجيّته "العلميّة والاجتماعيّة". وسبب اعتبار هذه المنهجيّة "قديمة" أنّ تطوّرات النّظريّات الجديدة المعقّدة كشفت عمّا لا يمكن التّنبّؤ به، وعن الفوضى، باعتبارهما أسّين كامنين يساهمان في "خلق" الظّاهرة الطّبيعيّة. والعقلانيّة الّتي يحتاج علماء الدّين إلى قبولها واستثمارها في تطوير رؤية جديدة، نتيجة لذلك، هي ذلك النّوع من البرهنة الّذي يستطيع أن يستكنه تعقيدات التّجربة الدّينيّة الإنسانيّة ويسبر أغوارها كليّا. فالمجتمع الإنسانيّ والظّاهرة الطّبيعيّة كليهما لا يتطوّران وفقا لمسار عقلانيّ قابل للتّنبّؤ به دوما. ولا يمكن اعتبار التّاريخ الحاليّ إذا تاريخا أحاديّا وخطيّا محضا، بل إنّه مسار معقّد وغير قابل للتّنبّؤ بنتائجه في الوضع الكونيّ الحاليّ المتّسم بالتنوّع الثّقافيّ.

وإذا ما رُمنا مقاربة التّاريخ الدّينيّ الياباني أو بعض الأديان المحليّة الأخرى بمصطلح "شنوا": المصطلح الياباني المحليّ، مقابل المصطلح الغربي "ميث"، فإنّنا سنكتشف وجود هوّة معرفيّة ودلاليّة وثقافيّة بين المصطلح الغربيّ والمصطلح الياباني، تعريفيّا ومفهوميا. ويضاف إلى ذلك أيضا المصطلح الياباني "عهد الآلهة Kamiyo" باعتباره مقاربا، شكليا، لميثوس، ولكنه

[1] Ueyama Yasutoshi, Shinwa to Kagaku:Yoropa chishiki shakai: seikimatsu-20seiki, Tokyo, Iwanami Shoten, 2001. First ed. 1984.

[2] انظر مثلا تطبيق مبادئ الماركسية الليلينية على الفكر الديني الياباني في: يوري كوزلزفسكي، الفلسفة اليابانيّة المعاصرة، تع. خلف محمد الجراد، بيروت، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، 1995. وانظر أيضا محاولة تطبيق "الرؤية الإسلامية" على التراث الديني الياباني في: محمد الخطيب، التجربة اليابانيّة: رؤية إسلاميّة، القاهرة، دار الصحوة، ط. 1، 1994.

مختلف عنه جذريّا. وكذا الأمر بالنسبة إلى المصطلحات المحليّة المستعملة في المجتمعات الأستراليّة البدائيّة مثل جوكوربا Jukurrpa وألكرينقا Alcheringa، وهي تترجم عادة إلى الأنقليزية "زمن الحلم" أو "الأحلام"، أو "الأسطورة" رغم اختلافها الدّلاليّ المهول عن هذه المصطلحات الأنقليزية. فالمترجم يرادف بين معنى المصطلح في لغته الأصلية وما يفهمه هو منه انطلاقا من ثقافته، وفي كثير من الأحيان تختلف المعاني باختلاف السياقات الثقافيّة. فالدّلالة الدّينيّة لمصطلح "جوكوربا" عند سكان استراليا الأصليّين تحيل على لائحة مقدّسة تنظّم العلاقة بين الأماكن والأحداث، مما يجعل ترجمتها آليّا إلى أسطورة Myth أو قانون Law ترجمة غير صائبة. فهذه الرؤية الأسترالية مرتبطة بالنظرة إلى الطبيعة والفضاء والأحداث باعتبار أن "البشر يعتبرون جزءا من الطّبيعة ويرتبطون بها برباط عاطفيّ قويّ"[1]. وهذه الرؤية غير موجودة في ميثوس فكيف تترجم إليها، ويُطبّق عليها التحليل الأسطوري الغربي.

وندرك بجلاء من استقراء كثير من الدراسات النقدية الحديثة للدين تأكيدا صريحا أو ضمنيا، ذا بعد أيديولوجي في الغالب، لأفضليّة المقولات التحليلية ذات الأصل الغربيّ على المقولات المحليّة للشّعوب الأخرى ذات الأصول الثقافية المختلفة. إلّا أنّ نظريّة النّسبيّة الثّقافيّة المعاصرة فسحت المجال لاعتبار مقولات "أصليّة" محليّة أخرى ذات طاقة تحليلية عالية، دون أن تتخذ الدعوة إلى توظيفها طابعا قوميّا. ومحاولة عولمة استعمال المقولة الغربيّة "ميث" لتحليل الأساطير في ثقافات غير غربية يثير قضيّة التخوم الثّقافيّة وانغلاق الفكر الغربيّ على ذاته وعدم اعتباره لأية مقولة أخرى من غير محضنه الإغريقي–الروماني. "إنّ النّسبيّة الثّقافيّة الجذريّة قد تتطلّب أن لا يستعمل الأكاديميّون الغربيّون مصطلح "ميث" إلّا في تحليل التّراث الغربيّ". ثمّ تساءل كيمورا عن وجود إمكانات ثقافيّة لتوظيف مقولة "أصليّة ومحليّة" من التّراث الثّقافيّ الياباني واستعمالها باعتبارها مقولة تحليلية؟

2 الدّراسات اليابانيّة للدين من "ميث" إلى "شنوا"

نشير بدءا إلى أن الفكر الديني في اليابان يختلف عن نظيره الغربي اختلافا جذريا[2]، إلى درجة أن مصطلح "الدين" في حد ذاته لا وجود له في الفكر الياباني القديم. وليس المصطلح الياباني الّذي يطلق على الدّين حاليا "شوكيو Shukyo" سوى ترجمة للمصطلح الغربيّ Religion، فهو ليس مصطلحا يابانيّا أصليّا، من جهة المفهوم، وإن كان اللفظ يابانيا أصليا[3].

[1] Ronald M. Berndt, "Good and Bad in Aboriginal Religion", In Max Charlesworth, ed, Religious Business: Essays on Australian Aboriginal Spirituality, Cambridge, Cambridge University Press, 1998, 27.

[2] المبروك المنصوري، الدين والهوية والحداثة والقيم: دراسة في الفكر الديني الياباني والفلسفي الغربي، تونس، الدار المتوسطية للنشر، 2017.

[3] Araki Michio, Shukyo no Sozo, Tokyo,Kondansha, 1999. Ikegami Yoshimasa, Shisha no Kyusaishi, Tokyo, Kadokawa Shoten, 2003.

قد ظهر بهذا المدلول في عصر طوكو قاوا، وكان في الغالب مرادفا لمعنى الانتماء إلى معبد معيّن. فلا "دين" في اليابان بالمفهوم الغربي. ولهذا قلّ من اليابانيين من يستعمل عبارة "أنا أؤمن بالدّين" لأنّ مدلول العبارة عنده لا تحيل على الشنتو–ديانته الأصليّة– بل تحيل على المسيحيّة في الأغلب الأعمّ. والشنتو–الدين الياباني الأصلي– ليس له مؤسّس ولا نبيّ ولا زعيم روحي، وهو أقرب إلى أن يكون أسلوب حياة ونمط وجود شأنه في ذلك شأن أغلب الأديان القديمة.

وحينما انفتحت اليابان على المجتمعات الغربيّة في منتصف القرن التّاسع عشر دخلت إلى الثقافة اليابانية كثير من النّظريّات والمفاهيم الغربيّة المتّصلة بها، مثل الدّين والفلسفة والطّبيعة والمجتمع وكثير من المصطلحات المتفرّعة عنها. وبما أن السّاسة والمفكّرين اليابانيّين قد سعوا في تلك الفترة إلى بناء أمّة مستقلّة ذات اقتصاد حديث وقوّي يستطيع الدّفاع عن نفسه ضد القوى الاستعماريّة الغربيّة الّتي اقتربت من البلاد فقد عادوا إلى الكتاب الياباني المقدّس في ديانة الشنتو: كوجيكي Kojiki[1] وجعلوه النّصّ التّأسيسيّ لبناء الهيكل الاجتماعي ولتوحيد الحكومات الإقطاعية المشتّتة في أمّة واحدة. واعتمادا على التنظيرات الدينية–الاجتماعية لكامو Kamo وموتوري Motoori وهيراتا Hirata[2] في تلك الفترة سعت الحكومة اليابانيّة إلى تحويل مضمون كوجيكي إلى واقع تاريخيّ، وأدرجت نظام الحكم الإمبراطوريّ، باعتباره معبّرا عن الهوية الوطنية الروحية والدينية والثقافية، في سياق هذا الكتاب المقدّس، وأنشأت ما يسمى "شنتو الدّولة State Shinto" أي دين الدولة[3] والذي نشأت منه نظرية سايساي إتشي Saisai itchi، وتعني وحدة العقائد والحكومة[4].

وحينما تشكّل تأصيل التّقسيم الثّلاثي في الفكر الغربي: الدّين والأسطورة والخرافة، وتشكّل في الدراسات الأنثروبولوجية مفهوما "البدائي" والمتحضّر"، صار أتباع النصرانية يدّعون أنّ دينيهم دين "متحضّر" ويساعد في بناء المجتمع وأنه

[1] الكوجيكي هو الكتاب الياباني المقدّس الأوّل ويحوي المحاور الرّئيسيّة للشّنتو: الدّين الياباني الأصليّ الأقدم. ألّف الكوجيكي في القرن الثّامن الميلادي ووصف كيفيّة تزاوج الآلهة وهبوطها إلى الأرض لتشكيل الجزر اليابانيّة المقدّسة. وتناسلت الآلهة على الأرض لتنجب الإمبراطور الياباني الأوّل. وفي منتصف القرن التّاسع عشر تحوّل الشّنتو إلى أيديولوجيا سياسيّة أهمّ محاورها مقولة الكوكوطاي: الوحدة الوطنيّة، وهدفها توحيد البلاد تحت حكم الإمبراطور وبناء "إمبراطوريّة الشّمس البازغة": الإمبراطوريّة اليابانيّة الوطنيّة القويّة والحديثة. ورغم أنّ هذه العقيدة قد حوّرت بتدخّل أمريكيّ مباشر بعد الحرب العالميّة الثّانية فقد ظلّ الشّنتو حيّا وتواصل الاعتقاد بأنّ الإمبراطور من نسل الآلهة حتى اليوم.

[2] هم أهمّ المفكّرين والمنظّرين لليابان الحديثة انطلاقا من إعادة قراءة الكوجيكي وتأصيل عقائده ومفاهيمه وترسيخها في المجتمع الياباني باعتبارها أهمّ محاور الهويّة الوطنيّة اليابانيّة.

[3] تشكّل في هذه الفترة مفهومان مركزيّان للدّين الياباني الأصليّ: الشّنتو. وهما شنتو الدّولة State Shinto وهو العقيدة الرّسميّة الّتي تبنّتها الحكومة، وشنتو المعبد Shrine Shinto العقيدة الّتي ظلّت خاضعة لسلطة المعابد الشّنتويّة التّقليديّة.

[4] Y. Keiichi and D. Reid, "Between Unity and Separation: Religion and Politics in Japan", *Japanese Journal of Religious Studies 6: 4* (1979): 502.

لا مجال فيه للأسطورة والخرافة[1]، ويؤكّدون ضمنيّا أنه مرتبط بالتقدّم الاجتماعي الاقتصاديّ والعقلانيّة. ووظّفوا ذلك في حملاتهم التبشيرية في اليابان فاعتبروا أن الأساطير اليابانية مجرّد "خرافات بدائية" ولا صلة لها بالدين. وتأثّر عدد من المفكرين وأساتذة الأديان اليابانيين-باعتبارهم أعضاء في المؤسسات الرسمية- وجهة النظر هذه فاعتبروا أن اعتقادات أفراد الشّعب "الجاهل" الّذي يؤمن بالخرافة، وهم العمّال اليدويّون والسّكّان "الأصليّون" البدائيّون المسمّون أئنو Ainu في اليابان، لا تساعد على التقدّم والتّحضّر. وفي هذا السياق الاجتماعي والسياسي تتنزّل الأعمال الفكريّة اليابانيّة حول الأسطورة في القرن العشرين وقد أشار ياماقوشي Yamaguchi إلى أنّ اثنين من أبرز أساتذة الدّين اليابانيّين قد عانوا من التّضييق السّياسي على الأكاديميّين قبل الحرب العالميّة الثّانية. الأوّل هو كاتو قنشي Kato Genchi الّذي اعتبر شنتو المعبد Shrine Shinto "دينا" معارضا الادّعاء الرّسميّ بأنّه ليس دينا، رغم أنّه تبنّى التّقسيم الثّنائيّ: الدين والخرافة وأنكر بعض الممارسات الدّينيّة للمنظّمات الدّينيّة الجديدة باعتبارها ممارسات خرافيّة. وأمّا الثّاني فهو أنيساكي ماساهارو Anesaki Masaharu وقد بيّن أنّ معتقدات عامة الشعب ليست سوى خرافات بدائية تبنّتها بعض الهيئات الدّينيّة الجديدة[2]. ونتيجة لهذا الوضع الاجتماعي-الاقتصادي لهذه الطبقة، فقد اعتبرت "غير متحضرة"، وغير متعلمة، وتؤمن "بالخرافات"، ولم تلق نتيجة لذلك معتقداتها وآراؤها أي اهتمام بحثي جدّي. وهكذا صارت "الخرافة" والأسطورة "شنوا" خارج الأيديولوجيا الثّقافيّة السّائدة، وهمّشتها الدّراسات الدّينيّة.

ومن أوّل الأعمال اليابانية في هذا الاتجاه نذكر تكاقي توشيو Takagi Toshio، أوّل عالم أسطورة ياباني تقريبا، وقد درس تأويل الأسطورة اليابانيّة في الكوجيكي، وأنيساكي ماساهارو Anesaki Masaharu، أوّل رئيس لقسم دراسة الأديان في الجامعة الإمبراطوريّة بطوكيو، وقد أشار في كتابه "مدخل إلى دراسة الدّين" إلى أن الأسطورة-من وجهة نظر سوسيولوجية فكرية- تعبير إنسانيّ للشّعوب الأقلّ "ذكاء" في محاولتها لتفسير الظّواهر الطّبيعيّة، واعتبر أن الأديان الأسطورية أديان بدائية[3]. ولذلك شغلت حيّزا هامشيا في دراسته. وكذا كان الأمر مع أونو إنكو Uno Enku في كتابه "الأسطورة" المنشور سنة 1931، إذ أشار مرّات قليلة إلى الأسطورة اليابانيّة "شنوا" باعتبارها مشغلا مهمّا في الدّراسة الأكاديميّة للأديان.

[1] Yamaguchi Teruomi, Meiji Kokka to Shukyo, Tokyo, Tokyo Daigaku Shuppankai, 1999, 32- 35, 41- 43.
[2] Ibid, 174- 176.
[3] Anesaki Masaharu, Shukyogaku Gairon: Anesaki Masaharu Chosakushu v. 6, Tokyo, Kokusho Kankokai, 1982, 299- 314. First Published in 1900.

وربّما يعود ذلك إلى تركيزه على الأبعاد الأنثروبولوجية للدين بصفة عامة[1]، أو لأنه تحاشى البحث في ما له صلة بالأيديولوجيا الرسمية السائدة خضوعا للإطار الاجتماعيّ والسّياسيّ المهيمن حينها.

أمّا قينشي كاتو فقد كان من أوّل من اهتم بإشكاليّة الأسطورة اليابانيّة "شنوا" مقابلا إيّاها بـ"ميث" الغربيّة من ثلاث زوايا مختلفة ولكنّها مترابطة. إذ اعتبر أولا أن "ميث"، من وجهة نظر فلسفيّة تأمّليّة، تعتبر تأمّلا فلسفيّا بدائيا حول الآلهة. وذهب ثانيا إلى أنّ آلهة الأسطورة الغربيّة "ميث" لم تعد تمتلك أيّة حقيقة، أي لم تعد موضوعا "دينيّا" بل هي نتاج لخيال الشّعوب القديمة. ونصّ في الثّالثة على أنّ "شنوا" محرّك للتّاريخ الياباني رغم أنّها لا تمثّل-في حد ذاتها- تاريخا، بل توفّر فقط دليلا على الشّخصيّة الإثنيّة-الثقافية الّتي أنتجت الأساطير اليابانيّة[2].

وحينما حان دور سوزوكي مونيتادا Suzuki Munetada كتب سنة 1948 "مدخل إلى الأسطورة" منتقدا فيه الدّراسات الدّينيّة السابقة في اليابان باعتبارها قد خضعت "لتوجيه نصراني" كبير، باعتبار أنها درست الأسطورة اليابانية بموجّهات منهجية ومفهومية مشتقة من ثقافة أخرى: الثقافة الغربية. فانطلق في دراسته من أن للبوذيّة اليابانيّة وخاصّة الماهيانا Mahayana قيمة مساوية للنصرانية، باعتبار أنها تنتج الصورة المثلى للحياة3، فلا لا يمكن وصل النصرانية بالتحضّر ووسم المعتقدات البوذية اليابانية بالبدائية[4].

وربما يكون نقّاد الأدب اليابانيون أوّل من أشاروا إلى التقابل بين "ميث" الغربية و"شنوا" اليابانية، إذ نظروا إلى "شنوا"، باعتبارها سردا، على أنّها إنجاز ثقافيّ إنسانيّ مهمّ. وكان تكاقي توشيو Takagi Toshio أستاذ الأدب الألماني أوّل أكاديميّ دارس للأسطورة اهتمّ بهذا المشغل بجديّة[5]. وقد ركّز تكاقي دراسته على أساطير جنوب آسيا وأساطير الأوروبيّين

---

[1] Uno Enku, Shukyogaku, Tokyo, Iwanami Shoten, 1931.

[2] Kato Genchi, Shukyogaku Seiyo, Tokyo, Kiaseisha, 1955. First Published in 1945, before the end of WWII.

3 ول دورنت، قصة الحضارة: المجلد الأول: التراث الشرقي، الملخص الخامس عشر: الشرق الأقصى، قصة اليابان، 1421. جفري بارّندر، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب (تع. إمام عبد الفتّاح إمام، الكويت: سلسلة عالم المعرفة 173)، 334.

[4] Suzuki Munetada, Shukyogaku Genron, Tokyo, Nikko Shoin, 1948, 82.

انظر أيضا أعمال المفكر الياباني ذي التوجهات القومية تُياما ميتسورو Toyama Mitsuru (1855-1944) وقد كان من الفلاسفة اليابانيّين الذين اعتبروا المسيحيّة غير متوافقة مع الثّقافة اليابانيّة واعتبر أتباعها "غير أوفياء لليابان". وشارك في صياغة المرسوم الإمبراطوري في تجديد التّعليم مبيّنا أنّه على الشّعب الياباني أن يدعم الجهود الإصلاحيّة للحكومة وعلى الحكومة أن تدعم النّظام الإمبراطوري الممثّل لهويّة اليابان.

[5] Obayashi Taryo, "Kaisetsu", Takagi Toshio, Obayashi Taryo, ed. Zotei Nihon Shinwa Denseisu no kenkyu, Toyo Bunko 241, Tokyo, Heibonsha, 1973, 378- 394.

والهنود، ولم يشر إلى الأساطير اليابانية بسبب القيود السّياسيّة على دراسة الدين أو التشكيك في الأساطير المؤسسة للهوية اليابانية في تلك الفترة.

أمّا ماتسومورا تاكيو Matsumura Takeo فقد كان أوّل ميثولوجيّ نسقيّ في التّاريخ الأكاديمي الياباني، رغم أنّه ركّز على الأساطير الإغريقيّة ومقابلاتها اليابانيّة كما فعل كثير من الميثولوجيّين اليابانيّين. وكانت الرّؤية الفلسفيّة قاعدة عمله الميثولوجي كما تبيّن الأمثلة الّتي درسها. وكان كتابه "مدخل إلى الأسطورة" المنشور سنة 1940 إنجازا أكاديميّا رائعا حقّا على الصّعيد الأكاديمي العالمي[1]. ولا تزال بعض أفكاره فعّالة إلى اليوم. ولكنّ هذا البحث وقع في إشكالية منهجية ألا وهي تطبيقه للمصطلح الياباني "شنوا" على أساطير الكتاب الياباني المقدّس: كوجيكي، وأيضا على الأساطير الإغريقيّة، بشكل متماثل. ولم يدرك أن "شنوا" اليابانية لا تنطبق على "ميث" الغربية، تماما كما أن "ميث" لا تنطبق على "شنوا".

3 شنوا/ ميث: بين الأسطورة والتاريخ

يتداخل التاريخي والأسطوري في الثقافة اليابانية بشكل بكبير. وعملت الحكومات المتعاقبة في الفترة الحديثة على تأكيد الاستمرارية التاريخية للحكم الإمبراطوري عبر تأصيل الأسطورة في التاريخ، وتأكيد تاريخيّة التّاريخ الأسطوري المسرود في الكتابين المقدّسين اليابانيّين: كوجيكي ونيهون شوكي. ويعتبر هذان الكتابان أن الأمبراطور الياباني الأوّل جيمنو هو حفيد آلهة الشمس آماتيراسو. ويصوّر هذان الكتابان أن الآلهة العلوية قد خلقت جزر اليابان من دموعها المتناثرة في البحر كالدرر. وأسكنت فيها البشر. ولكن بعد فترة عمّ الفساد الأرض، فأنزلت آلهة الشمس: آماتيراسو أحد أحفادها ليحكمها. وكان هذا هو الإمبراطور الياباني الأوّل جيمنو[2]. ومنذ تلك الفترة تحكم نفس السلالة الإمبراطورية اليابان إلى اليوم مدعومة دعما مباشرا من الأساطير المؤسسة في كوجيكي ونيهون شوكي.

وحينما بدأت النهضة اليابانية الحديثة في عهد الإمبراطور مايجي تأكّدت هذه الصلة بشكل كبير، وصارت المؤسسة للهوية اليابانية في كل أبعادها[3]. ثم صارت أيدولوجيا رسمية للدولة إلى حدود منتصف القرن العشرين[4]. ولكن النقد التاريخي الذي قام به بعض الباحثين في فترة ما بين الحربين أبرز الهوّة بين الأسطورة والتاريخ. وقد بيّن تسودا عبر بحث النّصوص الدينية

---

[1] Matsumura Takeo, Shinwagaku Genron, v. 1 & v. 2, Tokyo, Baihukan, 1940, 1941.

[2] محمد العربي، موسوعة الأديان السّماويّة والوضعيّة: الدّيانات الوضعيّة الحيّة في الشّرقين الأدنى والأقصى (بيروت: دار الفكر اللّبناني، 1995)، 280-281.

3 مسعود ضاهر، النهضة العربيّة والنّهضة اليابانيّة: تشابه المقدّمات واختلاف النّتائج، الكويت، سلسلة عالم المعرفة عدد 252.

4 ناقاي متشو وميقول أورشيا، الثورة الإصلاحيّة في اليابان، تع. عادل عوض، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، 6. محمد علي القوزي وحسان حلاق، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، بيروت، دار النهضة العربية، 2001، 15 وما بعدها. حيث اعتبر الكاتبان إصلاحات المايجي "ثورة"

من وجهة نظر تاريخيّة أنّ السّرد الأسطوريّ في الكوجيكي ليس "تاريخا"، بل هو نتاج الأيديولوجيا السّياسيّة السّائدة في القرن الثّامن زمن تأليف هذا النّصّ المقدّس، ثمّ تدعّمت هذه الأيديولوجيا في القرن التاسع عشر في فترة حكم المايجي. وتأكّد من ثمّ التّناقض بين المفهوم الديني والمفهوم الأكاديمي للتّاريخ في نصّ كوجيكي[1].

وهكذا فحين أصدر تسودا الطبعة الأولى لكتابه الصّادرة سنة 1919[2] استعمل مصطلح الأسطورة في مقاربته لنصوص كوجيكي، وأحال على عدد من الدّراسات الإثنولوجيّة الغربيّة المعاصرة له، وقد تعرّف عليها عبر الدّراسة الميثولوجيّة لتكاقي توشيو[3]. وجارى الدّراسات المعاصرة له في اعتبارها أنّ الأساطير "البدائيّة" يمكن أن تساعد في فهم كيفيّات تفكير هذه الشّعوب. ولكنّه في الطّبعة الثّانية الصّادرة سنة 1924[4] محا المصطلح من كتابه لما أدرك، مرحليّا، أنّ تطبيق رؤية إثنولوجيّة في دراسة تاريخيّة غير لائق أكاديميّا وغير ممكن عمليّا. فما يطلق عليه الغرب "أسطورة"، وما يعنيه اليابانيون ب"شنوا"، مختلف تماما. وفي كلتا الحالتين لا يمكن اعتبار التاريخ المسرود في الأساطير "تاريخا" بالمعنى الاصطلاحي للكلمة. ولكنّه يؤسّس لتاريخ مرتبط بالهوية الثقافية والفكرية لشعب ما. وإذا كانت الأساطير الإغريقية لا تحتوي عند الغربيين المعاصرين على أي بعد تاريخي، فإن "شنوا"، في الحالة اليابانية، رغم أنها ليست "تاريخا" بالمعنى الاصطلاحي للكلمة-عكس ما كانت تدّعيه الحكومات اليابانية لغايات سياسيّة أيديولوجية- فإنّها يمكن أن تمثّل تاريخا نفسيّا، أو ثقافيّا أو روحيّا، يستبطن جانبا مهمّا من حياة اليابانيّين المعاصرين إلى حدّ اليوم. فشنوا إذا، أكاديميا، ليست تاريخا، تماما كما هي ميث في الفكر الغربي. ولكنّ شنوا في جانبها الاجتماعي والسياسي والثقافي والروحي والنفسي عند اليابانيّين المعاصرين ليست كما هي ميث عند الغربيين المعاصرين إذ لا تحتوي عند الغربيّين على أيّ بعد اجتماعي أو سياسي أو روحي أو نفسي أو ثقافيّ معاصر.

وحتى عندما انهزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية واحتلها الأمريكيون وأجبروا الإمبراطور على إصدار مرسوم إمبراطوري ينكر فيه نسبه الإلهي، وأنه ليس حفيدا لآلهة الشمس أماتيراسو، فإنّ النظام الإمبراطوري[5] قد تواصل وحافظ على

---

1 رغم أنّ تسودا كان مؤرّخا بالمعنى الدّقيق للكلمة فقد شارك الرّؤية الإثنيّة المركزيّة حول الأسطورة اليابانيّة قائلا إنّه لا توجد أية أسطورة في الصّين لأنّ كلّ الخرافات الصّينيّة مشتّتة ولا ترقى إلى مستوى الأدب. Ienaga Saburo, Tsuda Sokichi no Shisoshi-iekikenkyu, Tokyo, Iwanami Shoten, 1972, 209.

2 Tsuda Sokichi, Kojiki oyobi Nihonshoki no shin-kenkyu, Tokyo, Rakuyodo, 1919.

3 Takagi Toshio, Hikaku Shinwagaku, Tokyo, Musashino Shoin, 1924. هذا الكتاب مجموعة من المقالات الأكاديمية لتاكاقي سلف نشرها وأحال عليها تسودا في عمله.

4 Tsuda Sokichi, Kojiki oyobi Nihonshoki no kenkyu, Tokyo, Iwanami Shiten, 1924.

5 C. H. Powles, "The Emperor System in Modern Japan: A Case Study in Japanese Religiosity", *Studies in Religion 6: 1* (1976): 35.

نفس المكانة الروحية والنفسية والثقافية عند الشعب الياباني إلى اليوم[1]، وإن حدّ الوضع الجديد من صلاحياته السياسية[2]. ولكن رغم هذا المرسوم فقد ظلّت المدارس اليابانية تدرّس أساطير كوجيكي على أنها تاريخ. وهكذا فعندما أعدّ المؤرّخ إيناقا سابورو Ienaga Saburo مسودّة كتاب نصوص مادّة التّاريخ لمدرسة عليا سنة 1962 وأودعه بوزارة التّعليم للمصادقة على محتواه تلقّى ردّا يقول إنّ بعض التّحليلات لم تكن ملائمة وقد تمّ إصلاحها. وانتظر إيناقا إلى سنة 1965 ليرفع دعوى قضائيّة ضدّ وزارة التّعليم حول عدم شرعيّة الإجراء البيروقراطي الذي يطالب بتغييرات في محتوى الكتاب المدرسي. وقد رفع في المجمل ثلاث دعاوى قضائيّة آخرها كان سنة 1980. فقد طلبت منه وزارة التّعليم أن يحوّر تفسيره للمظاهر السّياسيّة للكتابين المقدّسين: كوجيكي ونيهونشوكي ويسحب إنكاره لوجود أي بعد تاريخي فيهما[3]. وأكّد إيناقا أنّه ألّف عمله استنادا إلى نتائج الأبحاث التّاريخيّة لتسودا، وقد بيّنت هذه الأبحاث أنّه لا يمكن اعتبار القصّتين تاريخا بما أنّهما النّتاج الأيديولوجي للنّظام السّياسي السّائد في القرن الثّامن. وقد وافقه على ذلك ناوكي كوجيرو Naoki Kojiro[4]. ولكن وزارة التعليم أصرّت على أن تمنح النّصوص القديمة قوّة الأسطورة في كتب التّاريخ المدرسيّة في المدارس العليا. وهو ما احتاج إلى فترة من الزمن ليتحوّر، وتتحوّل الأسطورة في الفكر الياباني من تاريخ رسمي إلى ثقافة تاريخية: أي تمّ الفصل بين الرؤية العلمية للتاريخ المسرود، والسرد الأسطوري–التاريخي في النصوص المقدّسة.

وهكذا تبيّن لنا أنّ أساتذة الدّين اليابانيّين قبل الحرب العالميّة الثّانية، وخاصّة أنيساكي، قد اهتمّوا بقضيّة الأسطورة في دراساتهم الدّينيّة اهتماما مباشرا، حيث كانت الأسطورة "شنوا" جزءا أساسيا من التاريخ الياباني، بالمعنى الأكاديمي للمصطلح. وقد أدرك اليابانيون المفارقة بين مفهوم الأسطورة في التراث الغربي ذي الجذور الإغريقية–الرومانية، والتراث الياباني. فالأسطورة في الفكر الغربي قد انتهت فاعليتها وتاريخيتها وانتهت من ثم انعكاساتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية والروحية. أما الأسطورة في الفكر الياباني فهي جزء أصيل، حي وفاعل على مختلف الأبعاد في الثقافة والفكر اليابانيّين إلى اليوم، ومازالت أساس كثير من العبادات والمعاملات والعادات اليابانية الأصيلة[5].

---

[1] Jan van Bremen and D. P Martinez (eds.), *Ceremony and Ritual in Japan: Religious Practices in an Industrialized Society* (London and New York: Routledge, 2002).

[2] S. Shimazono, "State Shinto and the Religious Structure of Modern Japan", Journal *of the American Academy of Religion,* 73: 4 (2005): 1083.

[3] Ienaga Saburo, Kentei Hugokaku Nihonshi, Tokyo, Sanitsu Shobo, 1974, 313- 314

[4] Naoki Kojiro, Shinwa to Rekishi, Tokyo, Yoshikawa Kobunkan, 1971, 20.

[5] Mansouri, Mabrouk, Holy Time and Invented Popular Rituals in Islam: Structures and Symbolism, Al-Jami'ah: Journal of Islamic Studies, Vol 56, No 1, 2018, P 121-154.

وقد أراد المفكّرون اليابانيّون عبر العودة إلى النصوص المقدّسة في كوجيكي ونيهون شوكي في فترة المايجي إلى تحويل الأسطورة من سرد ديني إلى تاريخ سياسي ووطني: إلى أيديولوجيا رسميّة للدولة. وتواصل هذا الوضع إلى منتصف القرن العشرين. وحينما بدأت التطورات السياسية والاجتماعية والمراجعات الفكرية اليابانية في التشكّل في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، تم فصل الأسطورة في كوجيكي ونيهون شوكي عن التاريخ بمعناه العلمي: أي لم تعد الأسطورة تاريخا فعليا. ولكن تواصلت مكانتها النفسية والروحية والثقافية إلى اليوم.

النتائج

بيّنت الدراسة الاختلاف الجذري بين "شنوا" في الفكر الياباني، و"ميث" في الفكر الغربي، فلا علاقة للمصطلح الأوّل بالثاني من جهة الآفاق الثقافية العامة والنظرة إلى الإنسان والكون والوجود والمصير. فلم تعد ميث تمتلك أية طاقة تأثيرية من أيّ نوع لا عند الغربيين المعاصرين، ولا عند اليونانيّين المعاصرين في حد ذاتهم. أما "شنوا" فمازالت تتمتّع بطاقة حيّية، فعّالة ومؤثّرة ثقافيا ونفسيا واجتماعيا إلى اليوم، ومازال الإمبراطور الياباني يتمتع بهالة من القداسة العظيمة، المستندة إلى أساطير كوجيكي ونيهون شوكي، رغم أنه أعلن أنه ليس حفيدا لآلهة الشمس أماتيراسو.

وقد أكّد البحث في مقارنة الأسطورة بين ميث وشنوا أنه يستحيل استعارة المفاهيم والمصطلحات من خارج سياقها الثقافي والحضاري وتطبيقها بشكل آلي أعمى على ثقافات مختلفة عن السياقات التي نشأ فيها هذا المصطلح أو ذاك. إنّ النسبية الثقافية تقتضي أن لا يستعمل الغربيون أداوتهم التحليلية المشتقة من تراثهم الإغريقي–الروماني إلا في تحليل ذلك التراث المخصوص، ومن التعسّف المنهجي والمعرفي تطبيقها بشكل آلي على ثقافات شعوب أخرى لا تشاركهم النظرة إلى الكون والوجود والمصير. وقد أكّد البحث إمكانية استعمال مقولة يابانيّة "أصليّة" مقولةً فكريّةً عامّةً في دراسة الأديان. لقد همّش الأكاديميّون العقلانيّون مقولة الأسطورة اليابانيّة "شنوا" باعتبارها مقابلا للمقولة الغربيّة "ميث" أثناء مسار التّحديث وظلّ استعمالها غامضا جدّا. وقد صار لزاما على أساتذة الأديان في اليابان اليوم أن يبحثوا في إمكانيّة توظيف مقولات يابانيّة "أصليّة"، أو أيّة مقولات شرق آسيويّة، باعتبارها مقولات تحليلية في الدراسة العلمية للأديان.

التوصيات

–وجوب الوعي العميق والدقيق بالآفاق التي يفتحها مفهوم النسبية الثقافية باعتباره مفهوما نقديّا ناتجا عن المراجعات ما بعد الحداثوية الغربية في حد ذاتها.

–إدراك الفرق الجذري بين مفهوم "شنوا" الياباني ومفهوم "ميث" الغربي، من جهة الآفاق الثقافة والفكرية والفلسفية العامة.

–المكانة العميقة للأسطورة: شنوا في الثقافة اليابانية المعاصرة على كافة الأبعاد، رغم التقدم العلمي والتكنولوجي المهول لهذا البلد.

–التفكير في آفاق انفتاح الفكر العربي المعاصر على تجارب حضارية وعلى مفاهيم نقدية مخالفة لما ألفوه في الفكر الغربي، ومتوائمة مع وضعهم الفكري والثقافي العام.

–إجراء دراسات معمقة حول مفاهيم ومصطلحات نقدية أخرى يمكن للفكر العربي المعاصر أن يستفيد مما تطرحه من رؤى منهجية ومعرفية قد تفتح آفاقا جديدة من النظر الحصيف.

قائمة المصادر والمراجع

-جفري بارّندر، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب، تع. إمام عبد الفتّاح إمام، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 173.

- محمد الخطيب، التجربة اليابانيّة: رؤية إسلاميّة، القاهرة، دار الصحوة، ط. 1، 1994.

- ول دورنت، قصة الحضارة: المجلد الأول: التراث الشرقي، الملخص الخامس عشر: الشرق الأقصى، قصة اليابان.

-يوري كوزلزفسكي، الفلسفة اليابانيّة المعاصرة، تع. خلف محمد الجراد، بيروت، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، 1995.

-ناقاي متشو وميقول أورشيا، الثورة الإصلاحيّة في اليابان، تع. عادل عوض، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

- المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبيّة الثقافية، تونس الدار المتوسطية للنشر، 2010.

- مسعود ضاهر، النهضة العربيّة والنّهضة اليابانيّة: تشابه المقدّمات واختلاف النّتائج، الكويت، سلسلة عالم المعرفة عدد 252.

-محمد العربي، موسوعة الأديان السّماويّة والوضعيّة: الدّيانات الوضعيّة الحيّة في الشّرقين الأدنى والأقصى، بيروت: دار الفكر اللّبناني، 1995.

-محمد علي القوزي وحسان حلاق، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، بيروت، دار النهضة العربية، 2001.

-Berndt, Ronald M., "Good and Bad in Aboriginal Religion", In Max Charlesworth, ed, Religious Business: Essays on Australian Aboriginal Spirituality, Cambridge, Cambridge University Press, 1998, 27.

-Ellwood, Robert, Politics of Myth: A Study of C. G. Jung, Mircea Eliade, and Joseph Campbell, Albany, State University of New York Press, 1999.

-Enku, Uno, Shukyogaku, Tokyo, Iwanami Shoten, 1931.

-Genchi, Kato, Shukyogaku Seiyo, Tokyo, Kiaseisha, 1955. First Published in 1945, before the end of WWII.

-Goichi, Matsunaga, ed, Kindai Minshu no Kiroku, v. 1, Nomin, Tokyo, Shin Jinbutsu Oraisha, 1972.
-Gold Thwaites, Reuben, ed, Jesuit Relations (CD-Rom version), Rhode Island, Quintia Publications, 2000.
-Jan van Bremen and D. P Martinez (eds.), *Ceremony and Ritual in Japan: Religious Practices in an Industrialized Society* (London and New York: Routledge, 2002).
-Kimura, Takeshi, Location of "shinwa (≠ myth)" in the pre-war Japanese study of religions, Journal of Philosophical Thought, Tokyo, No. 22, 2004, 144- 156..
-Kojiro, Naoki, Shinwa to Rekishi, Tokyo, Yoshikawa Kobunkan, 1971, 20.
-Lincoln, Bruce, Theorizing Myth: Narrative, Ideology, and Scholarship, Chicago & London, The University of Chicago Press, 1999, 17- 18.
-Mansouri, Mabrouk, Holy Time and Invented Popular Rituals in Islam: Structures and Symbolism, Al-Jami'ah: Journal of Islamic Studies, Vol 56, No 1, 2018, P 121-154.
-Masaharu, Anesaki, Shukyogaku Gairon: Anesaki Masaharu Chosakushu v. 6, Tokyo, Kokusho Kankokai, 1982, 299- 314. First Published in 1900.
-Michio, Araki, Shukyo no Sozo, Tokyo,Kondansha, 1999. Ikegami Yoshimasa, Shisha no Kyusaishi, Tokyo, Kadokawa Shoten, 2003. .
-Munetada, Suzuki, Shukyogaku Genron, Tokyo, Nikko Shoin, 1948, 82.
-Powles, C. H. "The Emperor System in Modern Japan: A Case Study in Japanese Religiosity", *Studies in Religion 6: 1* (1976): 35.
-Saburo, Ienaga, Kentei Hugokaku Nihonshi, Tokyo, Sanitsu Shobo, 1974, 313- 314
-Saburo, Ienaga, Tsuda Sokichi no Shisoshi-iekikenkyu, Tokyo, Iwanami Shoten, 1972, 209.
-Saler, Benson, Conceptualizing Religion: Immanent Anthropologists, Transcendent Natives, and Unbounded Categories, New York, Berghahn Books, 2000, ix.
-Segal, Robert A., Theorizing about Myth, Boston, University of Massachusetts Press, 1999.
-Shimazono, S. "State Shinto and the Religious Structure of Modern Japan", Journal *of the American Academy of Religion,* 73: 4 (2005): 1083.
-Sokichi, Tsuda, Kojiki oyobi Nihonshoki no kenkyu, Tokyo, Iwanami Shiten, 1924.
-Sokichi, Tsuda, Kojiki oyobi Nihonshoki no shin-kenkyu, Tokyo, Rakuyodo, 1919.
-Takeo, Matsumura, Shinwagaku Genron, v. 1 & v. 2, Tokyo, Baihukan, 1940, 1941.
-Taryo, Obayashi, "Kaisetsu", Takagi Toshio, Obayashi Taryo, ed. Zotei Nihon Shinwa Denseisu no kenkyu, Toyo Bunko 241, Tokyo, Heibonsha, 1973, 378- 394.
-Teruomi, Yamaguchi, Meiji Kokka to Shukyo, Tokyo, Tokyo Daigaku Shuppankai, 1999, 32- 35, 41- 43.
-Toshio, Takagi, Hikaku Shinwagaku, Tokyo, Musashino Shoin, 1924.

-Von Hendy, Andrew, The Modern Construction of Myth, Bloomington & Indianapolis, Indiana University Press, 2002, 3.
-Yasutoshi, Ueyama, Shinwa to Kagaku:Yoropa chishiki shakai: seikimatsu-20seiki, Tokyo, Iwanami Shoten, 2001. First ed. 1984.